

## الدعائم الحضارية للنيوليتي ذو التقاليد القفصية

### بالصحراء الشّمال إفريقية

الدكتور محمد رشدي جراية

أستاذ محاضراً بقسم العلوم الإنسانية

جامعة الشهيد حمة لخضر-بالوادي- الجزائر.

#### الملخص:

عرفت البشرية إبان فترة تطورها الحضاري في عصور ما قبل التاريخ نهضة حضارية شاملة نعتت بالعصر النيوليتي أي ( العصر الحجري الحديث) الذي عرف قدرة الإنسان على تدجين الزراعة و إستئناس الحيوان و إكتشاف الفخار، و بما أن المنطقة الشمال إفريقية كانت دوما سبابة فقد لعبت دورا فعالا بإعتبارها مؤثرة و متأثرة على عاداتها، فقد عرفت هذا العصر في سماته ذات التقاليد القفصية التي تمثل إمتدادا رائدا للحضارة القفصية خاصة في جانبها الثقافي الصحراوي المتنوع في زراعته وفي حرفه الفخارية وصناعاته العظمية وعشقه للحياة الفنية من تصوير جداري و تلوين كل من الفخار وأصداف بيض النعام و النقش عليها مع تنوع و تشابك مظاهر الحياة الروحية مما أدى الى ظهور حضارة رائدة.

**الكلمات المفتاحية:** النيوليتي ، الحضارة القفصية ، شمال إفريقيا ، تلوين الفخار ، أصداف بيض النعام ، الصناعة الحجرية ، تدجين الزراعة، إستئناس الحيوان، الجمع والإلتقاط ، بازيناس، رؤوس سهام ، الرسوم الصخرية، ما قبل التاريخ، الزخرفة والنحت ، معالم جنائزية.

**Abstract:** Humanity knew during its civilizational evolution in the Prehistory a mass civilisational rising named "The Neolithic", in which man cultivated land, domesticated animals and made potteries. As the North African region was always at the forefront, it played an important role since, as usual, it was affecting and affected. That region knew that age of Capsien characteristics a leading extention of the Capsien civilization especially in its Saharien cultural respect which was diversified in its agriculture and potteries and industry; moreover it showed his love for life through arts like rock painting and coloring and graving potteries, seashells and ostrich egg; and its combination with his spiritual aspects which created a pioneer civilization.

## المقدمة:

أطلق مصطلح القفصية سنة 1909 من قبل ج.دي مورغان، على المواقع الواقعة بضواحي مدينة قفصة التونسية، وتنفرد جميعها بصفة مشتركة فيما بينها ، وهي ركام القواقع الحلزونية الممزوجة بالرماد والتراب، وأدوات صناعية وعظام الحيوانات والإنسان و تعتبر الحضارة القفصية مكونة للعصر الحجري القديم المتأخر بشمال إفريقيا. (Balout.L, 1955.pp 387, 391)

بينما قسم الدكتور غوبير ( Gobert ) سنة 1914 القفصي التونسي الى ثلاثة أقسام، أسفل وقصد به القفصي النموذجي، وأوسط وقصد به الصناعة المختلطة ببئر الخنفوس، وأعلى سماه القفصي النيوليتي (حيث إختفت أدوات القطع الكبيرة، أو أصبحت نادرة، عوضتها أدوات الحز القرمية وندرة الأزاميل)، ثم في سنة 1933 نعت ر.فوفري (Vaufrey) هذا الأخير بالنيوليتي ذو التقاليد القفصية ويبدو أن كامبس (Camps) لم يكن مرتاحا لهذه التسمية حيث فضل تسمية النيوليتي الممتد من التل المتوسطي الى حواف مرتفعات الهقار بالنيوليتي الأطلسو- صحراوي لكن تسمية النيوليتي ذو التقاليد القفصية كانت سريعة الإنتشار و التداول و من ثم الأكثر لإستعمالا، أنظر: (Camps. G, 1974.p 282) و سرعان ما إنتشرت هذه التسمية و طغت عن غيرها (Vaufrey. R, 1966, p242,291)

إن المجال الجغرافي الذي غطاه النيوليتي ذوالتقاليد القفصية واسع ، لأنه يغطي شرق تونس الغربية ثم يمتد غربا حتى يصل الى المحيط الأطلسي ، ثم يمتد ليغطي قسم كبير من الجزائر التلية وقسم من الصحراء ، ( الخريطة). (Roubet. C, 1968,p113)

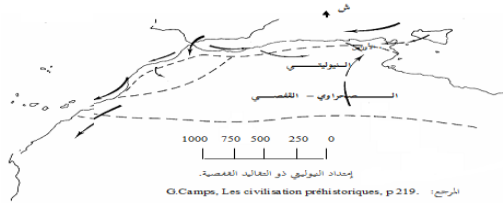
إن التسلسل التاريخي للنيوليتي ذو التقاليد القفصية تام بما فيه الكفاية، إذ يغطي الفترة الممتدة بين نهاية الألف السادسة و الألف الثانية قبل الميلاد، بينما يمتد النيوليتي الصحراوي السوداني من الألف السابعة حتى نهاية الألف الأولى قبل الميلاد. (Hugot. H , 1974, p 14)

فبينما عرفت الصحراء الجنوبية الإنطلاقة النيوليتية، منذ أواخر الألف السابعة قبل الميلاد و التي مثلتها بالخصوص صناعة الفخار ، فإن الأقسام الشمالية من الصحراء لم تعرف هذا التحول النيوليتي إلا مؤخرا مقارنة بمثلتها الجنوبية. (Camps. G, 1974.p 281)

إذا ما أردنا تسطير الحدود الجنوبية لمنطقة إنتشار النيوليتي ذو التقاليد القفصية فلا بد من رسم خط يبين إختفاء الفخار ذو القاع المخروطي والرسم على قشور بيض النعام، أما في

الشمال يحده الخط المار بالمنطقة حيث ينتهي إنتشار الفخار الإنطباعي ذو الأصل المتوسطي.  
(Camps. G, 1974.p295)

و على هذا نشاهد مواقع و آثار النيوليتي الصحراوي ذو التقاليد القفصية واضحة جلية،  
منتشرة بشكل واسع في كل من الصحراء المنخفضة و العرق الشرقي الكبير و الى غاية تادمايت و  
حتى تخوم الطاسيلي، مثل (عرق الصوان) و بتندوف، بشار، سعيدة، عرق إيقدي، تديكيلت،  
توات. (Camps.G, 1967.pp 91– 92)



ثم يسجل توغلا في الحزام الطاسيلي على حساب المنطقة الشمالية الخاضعة حضاريا لنفوذ  
النيوليتي الصحراوي السوداني، هذا الأخير ترحح نفوذه للوراء قليلا لحساب الأول، وهذا ما  
تفسره حفرة المنية، في عمق الهقار، حيث عثر على أدوات النيوليتي القفصي في الطبقات العليا،  
بينما يعثر على الآثار المادية النيوليتي الصحراوي السوداني، في الطبقات السفلى و الوسطى. )  
(Hugot. H , 1974, pp111, 113)

تبدو مناطق إمتداد النيوليتي ذو التقاليد القفصية واضحة، حيث يغطي القسم الأكبر من  
الصحراء المغاربية، شمالها و شرقها و غربها و جنوبها الغربي، كما يغطي على القسم الشمالي  
لمناطق نفوذ النيوليتي السوداني ( الجنوب الشرقي للصحراء )، حيث عمرها النيوليتيون ذوي  
التقاليد القفصية، بعد إنحسار نفوذ النيوليتي السوداني و هذا ما يفسر عودة الطبقات العميقة  
بحفرة المنية للنيوليتي السوداني بينما ترجع السويات العليا بما للنيوليتي القفصي.

### أولا: الزراعة و الرعي.

بقي الإنسان أكثر من مليوني سنة لا ينتج طعامه معتمدا على الصيد والجمع والإلتقاط  
وحتى في الأربعين ألف سنة الأخيرة بعد ما إكتملت فيه صفات الإنسان العاقل بقي معتمدا على  
الطبيعة للحصول على طعامه مما إضطره الى حركة الترحال الدائمة ولم يعرف الإستقرار إلا بمعرفته

الزراعة وإملاكه وسائل الإنتاج خلال العصر النيوليتي (الحجري الحديث). (الدباغ. ت، 2000، ص 13 )

إن ما يعرف عن ميدان الزراعة عند النيوليتيين الصحراويين ذوي التقاليد القفصية نادر جدا، لأن الدراسات في هذا المجال ابتدأت مؤخرا في نهاية الستينات من القرن الماضي لكنها لم تلبث إن توقفت، بالإضافة الى أن أهم البقايا النباتية لم تصل إلينا لأن الأرض الحمضية لا تحفظ الشواهد العضوية، ورغم ذلك يمكن إثبات وجود النباتات الحرجية (الغابية) الغنية بأشجار البلوط و الفلين و أشجار الأرز و الزيتون و السرو و الدفلى بالمضاب الصحراوية. ( Hugot. H , 1974, pp132, 133 )

قد يستدل بوجود المطاحن و المهارس، و الرحي على وفرة الغذاء النباتي ، الذي أصبح أكثر إنتشارا منه في العصر الحجري المتأخر، مما قد يتخذ كبرهان على وجود الزراعة. (Brahimi.C, 1978, p75)

كما تشهد بعض البذور التي عثر عليها بمقرات تديكيت ربما على وجود زراعة ولو على نطاق ضيق مثل بعضى بذور اليقطين، و الدباء، بالإضافة الى بذرة عنب واحدة متحجرة من نوع (فيتيز فينغيرا) بتمبرورين في عمق تديكيت أيضا. (Hugot. H , 1974, pp132 )

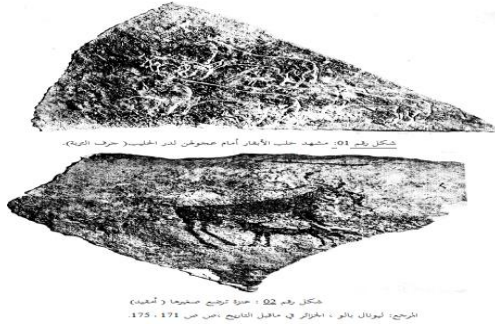
لقد وجدت بدايات للزراعة تضمنت إزالة الأعشاب الضارة، التي تزامم الأنواع المفيدة وتتطفل عليها ومعرفة الأسس الفعالة للأرض للحفاظ على هذه الأنواع، و الإهتمام بنباتات معينة، مما يؤدي الى زيادة إنتاجها ، وهي في الغالب خضر متوسطة تنبت بالصحراء في ذلك الوقت مع العلم أن عدد سكانها كان قليلا مع إطار بيئي غني بالنباتات والأشجار العفوية فقد و هبتهم بدائل للإنتاج الزراعي إذ كان بإمكانهم التزود بالمنتجات الزراعية عن طريق جني محاصيلها فقط في الغالب. (Hugot. H , 1974, p133 )

قد نتساءل و نقول : - هل كان النيوليتيون ذوي التقاليد القفصية بالصحراء رعاة ؟

ففي كل من حفرة لبيض و حفرة الأبيض و حفرة الزمان، لم يعثر على أية بقايا عظمية إطلاقا من أي نوع كانت بهذه المواقع الثلاث، مما أدى بك .روبي ( C.Roubet ) للقول : " إنه لأمر طريف أن يبقى الرعي مجهولا عند شعوب عاشت حتى بداية الألف الأولى قبل الميلاد ". (Camps. G, 1974.p340)

مع العلم ان ممارسة الرعي تمت رسميا ألفي سنة قبل هذا التاريخ على الأقل بالطاسيلي ، أحد المراكز الرئيسية للرعاة البقارة، (Maitre. J, 1971, pp57 – 59). و هي لاتبعد عن

موقع الزمان الذي هو إمتداد لعرق الصوان سوى 300 كلم. لم تعثر أيضا كل من الباحثة الأثرية ج.أوماسيب G.Auamssip (بعشرات المواقع التي حفرتها برواق أولاد مية بورقلة وحاسي المنيكل)، و الباحثة ك. روبي C.Roubet ( بعرق إيقدي) على أية دلائل تشير الى إمتهان النيوليتيون ذوي التقاليد القفصية بهذه المناطق لحرفة الرعي. (Camps. G, 1974.p341)



ويبدو أن الأمر يختلف بغرب الصحراء الجزائرية حيث أعطت بعض الرسوم الصخرية القليلة جدا مشاهد نادرة لإستئناس الحيوان، مثل صورة العنزة ترضع إبنها و التي زينت إحدى ملاحىء صحراء أمقيد، أو المشهد الذي جسمته إحدى رسوم جرف التربة حيث يجلس الحلابون على مناضد صغيرة في الوقت الذي يوجد فيه عجل أمام أمه يدر عطفها ، وفي هيئة إستعداد تام للرضاعة، (أنظر الأشكال رقم 01، 02) . (ليونال، ب، 2005، ص ص 171، 175 )

ثانيا: الحرف.

أ/صناعة الحجر:

يتميزالنيوليتي ذو التقاليد القفصية بإختفاء الصناعات القفصية النموزجية، مثل رؤوس السهام ذات الظهر، و الأزامل ذات الزاوية، ووجود حجر القزميات الهندسية ووفرة رؤوس السهام والفؤوس المصقولة والمكاشط، إنخفاض النصال ذات الظهر، وظهور النصيلات والمسننات (Berthier.A ,1951,p 40)، والمحكات والحزات وبعض أدوات الطحن، إضافة الى صناعة عظمية مصقولة، هي في الغالب أدوات قاطعة و ثقابة. ( سحنوني م، 1999، ص-ص 130-131)

أما النيوليتي ذو التقاليد القفصية بالصحراء عموما فيتميز بغزارة رؤوس السهام عددا ونوعا ( الشكل رقم 03) بالإضافة الى وجود الفؤوس الكبيرة والقواطم ، الخناجر الكاشطات ذات

المظهر الفأسي وتبقى هذه البقايا الأثرية متفاوتة من مكان الى آخر. (Camps. G, 1967. p 91)

قسم هـ.ج. هوجو و هـ.ك. فابري هذا النيوليتي بالصحراء الى منطقتين، الأولى تشمل ورقلة ، وادي سوف ، وادي ريغ ، قاسي الطويل ، وادي مية ، القورارة، الى غاية شمال توات ، وهي تحمل العلامات النيوليتية ذات التقاليد القفصية السابقة الذكر، أما المنطقة الثانية فتشمل كل من منطقتي توات و تديكيلت، فيضعف فيها التأثير القفصي بإعتباره متسرب إليها من المنطقة الأولى، وهي تتميز برؤوس سهام مسننة (Camps. G. 1967. p 90).

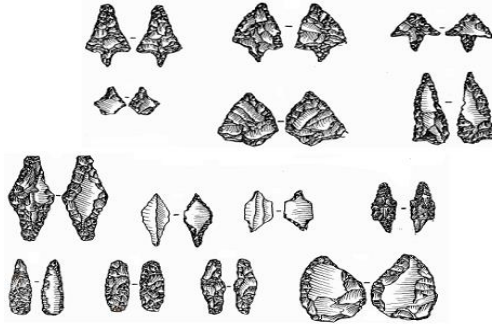
ورغم ذلك وجدت تصنيفات أخرى لهذه الصناعة لا تقل أهمية عن السابقة، منها ما أشار إليه ج. بوبو سنة 1953 إذ إكتشف محطة نموذجية قفصية بوادي سوف على الحدود الجنوبية للمنطقة القفصية ، ثم إكتشف ستة محطات أخرى متماثلة مع الأولى بنفس المنطقة ، فنتعتها بعد دراسة مليية (بملاحح الوادي) les faciés d'eloued إذ إستقر رأيه أخيرا على أنها محطات للنيوليتي الصحراوي ذو التقاليد القفصية. (Alimen. H, 1955, p194)

وحسب ليونال بالو فإن (ملاحح الوادي) تشمل الى جانب منطقة الوادي، شط ملغيغ ، وجنوب تبسة ثم تمتد من هناك الى جنوب سطيف لتنتهي جنوب منطقة الحضنة دون أن تسجل أي توغل في المنطقة التالية (Balout.L, 1955.p420)، و تتميز ملاحح الوادي بصناعة النواة الصغيرة وغلبة الأدوات والنصليات ذات الظهر وحضور المثلثات ذات الحجم الصغير وغزارة قطع قشور بيض النعام المنقوشة أو ذات الشطب المصقول، وحضور بقايا المدقات والمطاحن لسحق الحبوب والمغرة. (Alimen. H, 1955, p194)

أما بالمنطقة الواقعة بين جنوب العرق الشرقي الكبير والزاوية الكحلة فتتميز بالنصال الرقيقة الرفيعة المسننة ، مكاشط وخناجر مهذبة رقيقة، وخناجر أخرى عريضة ورقية الشكل ذات حدين شبيهة بالخناجر المصرية ( لفترة ما قبل الأسرات)، مصنوعة من الصوان، بالإضافة الى الفؤوس والمقارص، القواديم ذات لمسات رائعة من صقل وتهديب، وفؤوس أخرى صغيرة على شاكلة منحرف الأضلاع. (Camps. G, 1967. p 92)

كما عثر بمنطقة أولاد مية على الكثير من الصناعات المنتسبة للنيوليتي ذو التقاليد القفصية مثل المخارز، المثاقب، وأنصال ذات الحافة القاطعة، أزامليل و نصليات حادة المقطع على شكل شظايا حادة الحواف، بالإضافة الى القطع المسطحة، و النصليات ذات الرأس والبلورات الحجرية

المنعدمة الزاوية، والقزميات الهندسية، ( الدائرية، والمنحرفة الأضلاع، و المستطيلة) وغزارة رؤوس السهام ذات الوجهين والمذنبه و عريضات الذنب (Aumassip. G, 1972, p23)، والنواة الإسطوانية و الهرمية، والمحكات و الكاشطات والمطاحن وأدوات السحق أحادية الشكل والمدقات والمطاحن والقادحات. (Aumassip. G, 1972, , pp 62,101-103)



شكل رقم 03: رؤوس سهام متنوعة من مواقع أولاد ميلال ورفقة.  
G.Aumassip, néolithique sans poterie de la région de l'oued mya, p118. النوع:

### ب/ الفخار و الحلي :

فخار هذا النيوليتي خشن، وهو إما مزين بخطوط أو محرز بثقوب عميقة ( Alimen. H,1955, p199)، يتميز بأوانيه ذات القاع المخروطي والفتحة الواسعة وبتركيز الزخرفة على الحافة (Brahimi.C ,1978, p75) (أنظر شكل رقم 04) وحدث بعض بقاياها بعرق إيقدي و رقان، أولف، الزاوية الكحلة، وهو قليل العدد والنوع مقارنة بنظيره الشمالي التالي، أو بفخار النيوليتي السوداني ذو القاع النصف دائري بالطاسيلي و المقار. (Camps. G, 1967. p 92)

كما تجدر الإشارة الى خلو بعض المواقع النيوليتية ذات التقاليد القفصية بالصحراء من الفخار نهائيًا مثلما هو الحال في منطقة أولاد مية، ولهذا فهو في الغالب يتميز بقله الفخار. (سحنوني م، 1999 ص ص 130-131).

وأثبتت ه.ك. فابري بأنها شخصيا لم تعثر للفخار على أثر بالسويات العائدة الى نفس الفترة سواء بوادي سوف، ( فم سعيدة) بني عباس، ( خنقة تالايا) بأوغرطة، ( عين كرمة) ببوسعادة. (Fabrer.H, 1966, p517)

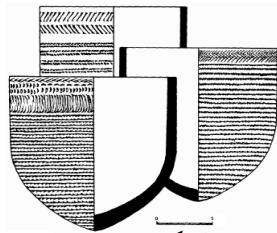
والمواقع أن الفخار عانى كثيرا من منافسة بيض النعام (أنظر شكل 05)، فلم تخرج الأواني في تكوينها عن القاع المخروطي مما يصعب تصور الكيفية التي كان يتم بها تثبيت الإناء في وضع

مستقر، على أنه كان يتم حمله داخل سلة من نسيج الخلفاء و يعلق، وربما كانت هذه هي الطريقة التي كان يتم بها التعامل مع بيض النعام. (الشريف. ح، العدد التاسع، المجلد الأول، 2001، ص 27)

كما دخلت قشوره أيضا في صنع رؤوس السهام ولو على نطاق محدود ( Alimen. H, 1955, p199) كما صنعوا القلادة من قطع الجص الصغيرة ثم يصبغونها بصبغة أردوازية ( مستخرجة من الأردواز ) ، وأساور من سوسن البحر، وشوكيات الجلد بأشكال أنبوبية و إسطوانية ( منها الحمراء والبيضاء). (Hugot. H , 1974 p120)

و صناعة الحلبي و أدوات الزينة بما فيها النياط ، و المجوهرات الدائرية المثقوبة و الرباعية الشكل ذات الحواف المصقولة المستخدمة غالبا في حلقات نظم العقود ، أما المجوهرات فتمثلت في النياط الحجرية و مجوهرات من أحجار متنوعة (الكلس ، الكوارتز، العقيق ،حجر اليمان ،الأمازونيت) كما عرفوا المضارب، Les palettes التي إستخدموا بعضها عند خلط الألوان للرسم التزين بالمغرة. (Alimen. H, 1955, p199)

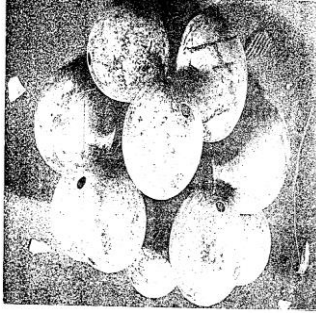
و تتوفر بهذا النيوليتي الصناعة العظمية عموما من سكاكين ومضاقل وكاشطات وملاعق وإبر وشصوص وحلي جميلة تتضمن دبابيس وملاقط وحلقات نظم عقود عظمية ومجوهرات أنبوبية الشكل ، خاصة الشفاتيير. (Fabrer.H , 1966, p516) أما النياط من الحجارة المصقولة فمتعددة الأشكال لكن أشهرها ما يعرف بـ (الشرناقة) الشبيهة بجبات اللفت مسطحة منبسطة مصقولة و مجهزة بثقب يدخل فيه سير جلدي عند تدويره بسرعة يحدث صفيرا حاد الصوت يسمع من مسافة بعيدة جدا ، لهذا يطلق عليها الحجارة الصفارة، كما توجد أنواع أخرى من النياط ذات طبيعة مختلفة، أحدها عثر عليه بتديكيت قلبي الشكل صنع من الهيماتيت ( حجر الدم) الأحمر الداكن مدهون بلون أبيض. ( Hugot. H , 1974, p 122 )



شكل رقم 04 : فخار حاسي لمويلح ( إعادة بناء الشكل غرافيا)

المرجع: G.Camps, Les civilisation préhistoriques, p299.





شكل رقم 05: أصداف بيض النعام أستخدمت كقوارير ، (حاسي لمويلح).

المرجع: C.Brahimi, Initiation a la préhistoire de l'algérie , ph2

ثالثا: الصيد و القنص.

لم تتوقف مجتمعات العصر الحجري الحديث فجأة عن ممارسة الصيد و القنص بل ظلت مدة طويلة تمارس هذا النشاط الإقتصادي الى ما بعد إستقرار الزراعة و تربية الحيوانات. (العدواني.م، 1985، ص 192)

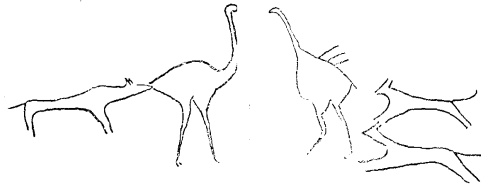
كما أنه لم تجر أية دراسة علمية أثرية مفصلة حول هذا الموضوع الذي يخص الصيد والقنص بالمنطقة الصحراوية الخاضعة لتأثير النيوليتي ذو التقاليد القفصية ، كما أن العمل الأثري الكبير المنجز حول النيوليتي بأولاد مية (ورقلة) بقي صامتا حول هذا الموضوع ، وحتى بتديكيت بقيت الدراسة مستعصية بسبب سوء حفظ البقايا العظمية التي لم تسمح لها التربة الحمضية بالبقاء. (Hugot. H , 1974, pp134)

ورغم ذلك فقد أعتبر الباحث ج.بobo J.Bobo بأن الإنسان النيوليتي بمنطقة سوف عاش بالدرجة الأولى على الصيد و القنص بمنطقة سفانا ومناخ أكثر رطوبة مما هو عليه الحال الآن. (Alimen. H,1955, p194)

كما أن الإفراط في تنوع أشكال رؤوس السهام وكثرة أعدادها المتناثرة عبر هذه الصحراء الشاسعة (التي أشرنا إليها سابقا) (ليونال، ب، 2005، ص ص ، 151 ، 154 ) و رؤوس المزاريق المختلفة الأحجام قد تعتبر دليلا هاما على تطور عملية الصيد ، وحتى الخمسينات من القرن العشرين بقي سكان الواحات والبدو الرحل يجمعونها للصيد بها من جديد. (Hugot. H , 1974, p135)

ربما وحده صيد النعام حفضته لنا بعض الرسوم الصخرية النادرة في هذا النيوليتي القفصي الصحراوي ، فقد عرف صيد النعام بالصحراء منذ عصور ما قبل التاريخ، لكن تقنياته وممارسته

تطورت خلال الفترة النيو ليتية خاصة بعد تدجين كلاب الصيد ( السلوقي) التي أستخدمت في هذا الغرض، كما أستخدم التفخيخ مثل الحفر المغطاة بالأغصان أو إيقاعها في شرك، و في أحيان كثيرة مباغتتها في أعشاشها إذ ترمى بالسهم (شكل 06). (Fabrer.H ,1963, pp83,89)



شكل رقم 06 : صيد النعام بـكلاب الصيد ( أحنات).

المراجع : H.Camps-Fabrer , La disparition de l'autruche en Afrique du nord , pp 88, 89.

#### رابعاً: المعبودات و العمارة الجنائزية.

لاشك أن الانسان أي كان و حيثما كان عبر الزمان أو المكان لا يخلو من المشاعر و الأحاسيس الدينية التي صاحبته في رحلته الطويلة و التي عبر عنها بأشكال مختلفة حسب الظروف و البيئة المحيطة به. (Cauvin.J, 1987, n°194, p p 1472 -1475) ربما عبد النيوليتيون ذوي التقاليد القفصية بالصحراء الحيوان ، فقد جسدت بعض الرسوم شكل الإنسان في صورة حيوان ، مثلما هو الحال بالريشة شخص جالس بأذان أرنب و في يده اليمنى عصى مقوسة ، و يوجد رسم مماثل له تقريبا في تاليز زرهان (على الحدود الجزائرية الليبية ) شخصان متقابلان أحدهما برأس ظبي وله ذيل و يحمل قوسا و رمحا و الآخر على شكل طائر أبو منجل يحمل قوسا هو الآخر أيضا (Gsell. S, 1972 ,p 247)

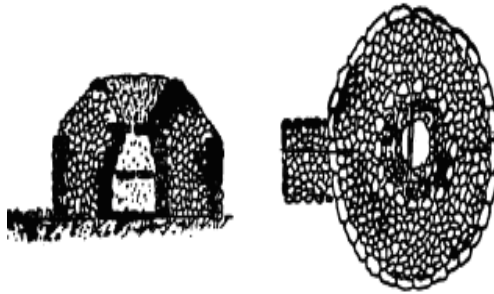
ويبدو أن هناك علاقة بين الرسمين السابقين رغم بعد المسافة خصوصا وأن القوس ممسوك في يد الحيوان تكرر، ربما تعلق الأمر بعبادة هذه الحيوانات أو أن الأمر له علاقة بالتقاليد الطوطمية ، إذ كانت بعض الشعوب البدائية تتعلق بحيوان معين وتعتبره جدا لها، كما وجد رسم مشابه له في تونس بكهف من صنع الإنسان بالقرب من كرومبالية، إذ يظهر شخصان متقابلان لهما رؤوس أيائل. (Gsell. S, 1972 ,p 248)

و جسدت بعض المدقات شكل الحيوان أيضا مثل حمل تامنتيت بتوات ومعبودات تابلبالة التسعة (ليونال، ب، 2005، ص ص 151، 154) البيضاوية الشكل ( و هي غير مزودة بالمنحارج الطبيعية الموجودة في الرأس من آذان و أعين و فم )، و غير مستبعد أن تكون لها علاقة بالخصوبة خاصة و أنها تنتهي بقضيب يشبه حشفة ذكر الرجل، (إبراهيمي. ك، 1982، ص 124 )

كما رسمت الكباش القراء التي تحمل فوق رأسها قرصا مستديرا في كول الزناقة بالفجيج حيث يعلو القرص جناحان يجسمان الأفعى، و على هذا قد تكون عبادة الشمس ( ربما لهما علاقة بعبادة الإله آمون المصري الجسّم في صورة كبش في طيبة بقرون معكوفة عليها قرص الشمس متلطفة حوله الأفعى ) عرفت بالجنوب الغربي للجزائر (من بشار الى عين الصفراء) ، قبل الألف الأولى قبل الميلاد، ( فقد أرجع س. غزِيل هذه الرسوم الى ما بين القرن السادس عشر و القرن الثاني عشر قبل الميلاد). (Gsell. S, 1972 ,pp 250-253)

رسم بوادي التل جنوب غرب بسكرة عبارة عن مشهد تعبدي حقيقي إذ يصور أناس جالسين أطرافهم السفلية منحاة، أما العلوية فمرفوعة في وضعية توصل ويتعلق الأمر بطقس تعبدي. (Gsell. S, 1972 ,pp 250-253)

أما البناء الجنائزي فمثلته بنايات مخروطية تضم تابوت دفن حجري في كل من عين الصفراء وعين كرمان ببوسعادة ، وقبور مستديرة ( بازيناس) ذات قواعد إسطوانية بعين الصفراء وعين لحمارة بأولاد جلال بسكرة ( غانم. م ، 2003 ، ص ص 22 ، 27 ) (شكل 07).



شكل رقم 07: بازيناس ذو قاعدة إسطوانية عشر على نموذج له بعين لحمارة ( أولاد جلال ببسكرة).

المراجع : محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، ص 24.

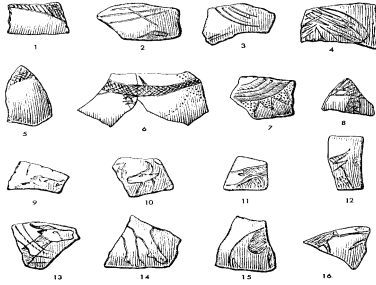
خامسا: الفن.

خلال الآف السنين وجدت الشعوب التي سكنت مناطق شمال إفريقيا الساحلية والتلية و الصحراوية في بيض النعام مادة خام صالحة لإنجاز بعض الأدوات الضرورية فبعد إستهلاكهم محتوى البيضة تستعمل في إنجاز بعض الأدوات الضرورية كقارورة في حالة وضع الثقب دون إنكسار البيضة، أما حالة الإنكسار الجزئي فتستخدم كإناء، أما الحطام المتبقي في جميع الحالات فيستخدم في صنع حبات نظم العقود ، في حين إستمر إستعمال بعض هذه الأشكال خلال فترة فجر التاريخ وحتى الفترة التاريخية بين القرطاجيين و الليبين.-(Fabrer.H ,1963, pp54-58)

و رغم أنه لاينبغي إسقاط الفقر الملاحظ في زينة الفخار بمواقع النيوليتي ذو التقاليد القفصية وخلوه من اللمسات الجمالية الفنية ، إلا أنهم عرفوا النقش على بيض النعام أحيانا بلمسات فنية مستهلكة ذات أشكال هندسية ، بإمكاننا أن نسميها الخطوط القفصية لتحديدتها أحيانا تكون خطوط متوازية مرتبة ومنظمة في قطاعات متقاربة وبإشراقات مختلفة. ( Hugot. H , 1974, p119

الحقيقة بإمكاننا التحدث عن حضارة كاملة لبيض النعام بالنسبة للصحراء الشمالية خاصة الجانب الفني إذ إحتوت على الزخارف و النقوش التجميلية و إن بقي في الكثير من الأحيان محتفظ بمميزات الزخرفة القفصية العليا، كإستخدام الزخارف المستقيمة إذ يبدو هذا الإرتباط واضحا في زخارف منطقة وادي سوف بصفة خاصة حيث الخطوط الأهدابية المقوسة و المشطية الأهدابية تعبر عن ذلك بكل وضوح ( الشكل رقم 08). ( دراجي.د، العدد الثاني، 1992، ص ص 6، 14 )

إن تزيين قشور بيض النعام على علاقة وطيدة بالحضارة القفصية ،وخاصة إمتدادها المتمثل في النيوليتي القفصي لاسيما في شطره الصحراوي ، حيث وجدت آثار هذه القشور المزينة في كل العرق الغربي الكبير ، الحنش ، تروننيل3 ( tarentule3 ) رقان ، أولف ، عين إسوقي ( تادمايت) ، الزاوية الكحلة ، وادي سوف ، وادي ريغ ، أولاد مية و قاسي الطويل، الساورة.(Fabrer.H ,1966, pp515,516)



شكل رقم 08: رسوم على قشور بيض النعام من الصحراء ( ترونتيل 3).

القطعة رقم 9 ( رأس خنزير)، القطع رقم 10-11-12-13(رؤوس ظباء من أنواع مختلفة)  
رقم 14 (أرجل ثور) ، رقم 15 ( مؤخرة ثور) ، رقم 16(ردف نعام).

المراجع : H.Camps-Fabrer , Matière et art mobilier, p 386.

غالبية القطع مزينة من الخارج ، بأشكال هندسية جميلة خطوط متنوعة كالخطوط المشطية والأهدابية وزخارف مكثفة منها الزخرفة المقوسة وزخارف التنقيط. (Fabrer.H, 1963, pp64-69)

و ضمن تزيين القشور نجد تقليد نيوليتي قفصي آخر مبعثر في هذه الصحراء الشاسعة الا و هو رسم الحيوان عليها، فقد عثر بالصحراء في موقع ترونتيل 3 ( tarentule3 ) بعرق إيقدي، على قشور تحمل رسوم خنازير وظباء وغزلان ( الشكل 14)، بينما أكتشف بورقلة صدفة كاملة لبيضة نعام ، تحمل رسم حيوانين هما ظبي و بقرة. (Fabrer.H, 1966, p516)

أما عن زخرفة الأقداح ، النياط ، الأفراس فتختلف زخرفة هذه الأدوات نوعا ما عن زخارف القطع الناتجة عن البيضة الكاملة ، فالمساحات هنا صغيرة أثرت عن تنظيم الزخارف و لهذا لوحظ كثرة النقوش أو الحزوز الموزعة بانتظام على حافة القرص أو النوط وقد تم التعرف على هذه العناصر بالخصوص في مناطق تلبالة ، فم سعيدة ، وديديدي ( منطقة مزاب). ( دراجي.د، العدد الثاني، 1992، ص 10)

يمكننا القول أن الزخرفة والرسم على قشور بيض النعام ليست بالأمر السهل لطبيعة المادة الخام ( دراجي.د، العدد الثاني، 1992، ص 18) إلا أن النيوليتيين الصحراويين ذوي التقاليد القفصية بموهبتهم الفطرية إستطاعوا إتقان هذا الفن الرائع الخالد و برعوا فيه.

خاتمة:

الفترة النيوليتية مرحلة ضرورية في سلم التطور الحضاري للأمم و الشعوب و هذا للدخول للمرحلة التاريخية و بهذا يعتبر النيوليتي ذو التقاليد القفصية بصحراء إفريقيا الشمالية مرحلة هامة مرت بها هذه المنطقة الإستراتيجية من العالم القديم بإعتبارها منطقة خلق و عبور حضاري. بفضل بعض الإجتياحات النادرة من القفصيين للصحراء الشمالية ، تحققت هجرة إنسانية بأتم معنى الكلمة، غطت كل المنطقة الواقعة بين الأطلس الصحراوي، شمالا و موريطانيا غربا وخط غير منتظم يمتد الى شمال الأدرار إيفوراس و شمال الطاسيلي جنوبا، ومن ثم يمتد الى غاية التبستي شرقا.

و لابد من الأخذ في الحسبان بأن النيوليتي مصطلح عام يغطي ظواهر متنوعة عديدة ، حيث أن التزامن في نفس المنطقة لايعني بالضرورة تبرير التخصص في هذا المجال أو ذاك، و هذا يعني إمكانية وجود عصر حجري حديث دون وجود حجارة مصقولة مثلا، أو دون فخار، أو دون أسلحة حجرية، أو دون إحتراف الرعي أو حتى تدجين الزراعة أحيانا أخرى.

يمكننا الخروج بالملاحظات التالية عن النيوليتي ذو التقاليد القفصية بالصحراء الشمال إفريقية و الدالة على وجود حضارة راقية:

يبدو أن النيوليتيين ذوي التقاليد القفصية بالصحراء لم يكونوا رعاة مهرة، فالدلائل الأثرية على إمتنانهم حرفة الرعي تكاد تكون منعدمة تماما ، مما أثار حيرة كبار الباحثين الأثريين بإستثناء أقصى الصحراء الجزائرية الغربية التي لم تتعد الأدلة بها عددا قليلا جدا من الرسوم الصخرية النادرة بهذا النيوليتي مثل عنزة أمقيد أو الحلابين بجرف التربة ، وقد يوعز هذا العزوف عن إمتنان الرعي ، لوفرة الطرائد و تفضيلهم إمتنان الصيد ( كما تدل على ذلك كثرة رؤوس السهام بهذه الأراضي الرحبة الأمر يدل إن صيد الطرائد قد لبي لهم ما يحتاجونه من بروتين).

الصناعة المنتمية للنيوليتي القفصي بالصحراء متنوعة، بدءا من تصنيع الحجارة و صقلها لتأدية أغراض مختلفة، مرورا بالفخار وهو ذو نوعية رديئة ، و لا ننسى تسجيل الحضور الواسع لقشور بيض النعام التي أستخدمت لأغراض مختلفة.

و لقد أدى نشاط الصيد ووفرة الطرائد البرية الى تلبية الحاجة من اللحوم لأصحاب هذا النيوليتي فكان له أثر كبير في عزوفهم عن تربية الحيوان على الأقل بالصحراء الشرقية و الجنوبية الغربية.

كما دلت بقايا بعض المعالم الجنائزية المنتشرة عبر هذه الصحراء الشاسعة الى جانب بعض الرسوم النادرة لهذا النيوليتي بالصحراء ، على أن النيوليتيين ذوي التقاليد القفصية بالصحراء قد تركوا ورائهم معالم دفن حجرية ، الى جانب تماثيل حجرية جسدت عبادة الحيوان و عبادة الخصوبة ( أشكال حيوانية ، عضو الذكورة).

### قائمة السبيلوغرافيا:

#### باللغة العربية:

#### 1/- المراجع:

1. بالو، ليونال. (2005): الجزائر في ماقبل التاريخ ، ترجمة ، محمد الصغير غانم ، عين مليلة الجزائر ، دار الهدى.
2. سحنوني، محمد .(1999): ما قبل التاريخ ، الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
3. العدواني، محمد الطاهر.(1985): الحروب و الأسلحة في عصر ما قبل التاريخ و فجر التاريخ الى 1000 ق.م، الجزائر، منشورات وزارة الثقافة والسياحة.
4. إبراهيمي ، ك. ( 1982): تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر، ترجمة ، محمد البشير شنيقي و رشيد بورية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
5. غانم ، محمد الصغير .(2003): معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر ، عين مليلة ، دار الهدى.

#### 2/- الدوريات:

7. دراجي، عبد القادر.(1992): المظاهر الفنية في المغرب منذ 13000 سنة الزخرفة والنحت على قشور بيض النعام ، مجلة الدراسات الأثرية، حولية معهد الآثار بجامعة الجزائر، العدد الثاني.
8. \_ الشريف ،حسن بكر.( مارس 2001):الصلات القديمة بين أوروبا والبلاد العربية الإفريقية، مجلة المورخ العربي، إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد التاسع، المجلد الأول.
9. \_ تقى الدباغ، 2000، أصول الزراعة والرعي ، مجلة سبأ ، مجلة تاريخية حولية، عدن ،كلية التربية والآداب ، العدد التاسع.

#### باللغة الأجنبية:

#### 1/- المراجع:

1. \_ Alimen,H. (1955):Préhistoire de l'Afrique, éd. N.Boubée et Cie, paris.
2. \_ Aumassip,G. (1972): néolithique sans poterie de la région de l'oued mya ( bas-sahara ),s.n.e.d, alger.
3. \_ Balout,L. (1955) :préhistoire de l'Afrique du nord , Essai de chronologie,Arts et métiers graphiques, paris.

4. \_ Berthier,A. (1951): L'algérie et son passé, éd A.et J. Picard, paris.
5. \_ Camps, G. (1974) :Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara ,éd doin , paris.
6. \_ Brahim, C. (1971):Initiation a la préhistoire de l'algerie , s.n.e.d. alger ,1978.
7. \_ Maitre, P. (1971): Contribution a la préhistoire de l'ahaggare, (1)Téfedest centrale ,Mém, du c.r.a.p.e.17,France.
8. \_ Fabrer,H. (1966) :Matière et art mobilier dans la préhistoire nord - africaine et saharienne, Mém du c.r.a.p.e.5, paris.
9. \_ Gsell ,S. (1972):Histoire ancienne de l'Afrique du nord , t.1, éd.Ottozeller, verlag. Osnabruk.
10. \_ Hugot , H. (1974):le sahara avant le désert, Editions des hespèrides, Paris , France.
11. \_ Roubet, C. (1968):Le gisement du damous el ahmar, et sa place dans le néolithique de tradition capsienne, arts et métiers graphiques, paris.
12. \_Vaufrey, R. (1966): préhistoire de l'Afrique,t1, ( Magreb) , publications de l'institut des Hautes études de tunis,vol 4, librairie masson, paris.

2- /الدوريات:

1. \_ Camps,G. (1967):Le néolithique de tradition capsienne au sahara, extrait des travaux de l'institut de recherches saharienne,t 26,c.n.r.s.
2. \_ Cauvin,J. (1987):L'apparition des premières divinités , la recherche ,mensuel,n°194, paris , décembre.